الأديب محمد خليل ومجموعته القصصية:
الشمس لا تغيب كثيرا
بقلم الناقد: أمين مرسي
عضو اتحاد كتاب مصر

فن القصة قديم قدم الحياة، وقد وردت القصة في التوراة، والإنجيل، والقرآن، ثم هي في شعر الإغريق، وآثار الرومان، والمصريين القدماء، ولقد تعددت مصادر القصص من عربية، وفارسية، وهندية، وهيلينية، ومصرية، وتطورت بتطور الثقافة، والفكر على مر العصور التاريخية[1].

والأديب (**محمد خليل**) عاش حياته في صحبة فن القصة يقاتل الظلم، والقهر، والعنت، والقبح، والعفن، ولم يسبق لغيره أن وضع في قصصه كل هذا القدر من الجهاد، مع عذوبة روحه، وطيب خاطره، وقدرته على التصوير الفني البعيد الغور. وفي مجموعته القصصية: (**الشمس لا تغيب كثيرا**)[2] نطالع قصصا فذة

---

[1] **أمين مرسي: القصص في التراث والملامح المميزة للفلكلور، صحيفة الرأي العام الكويتية، ع٩١٨١، ١٩٨٩/٧/٢م، ص٢، وانظر: أمين مرسي: جذوة الروح، مركز ابن سينا للنشر والإعلام، ط٢٠٠١م، ص٨.**

[2] **محمد خليل: الشمس لا تغيب كثيرا، ط٢، اتحاد كتاب مصر، ١٩٩٧م. والمجموعة تقع في ١٤٠ صفحة من القطع الصغير.**

أبدعها بجماع قدراته كلها، ترفده في هذا لغة رصينة بليغة في غير ما تشدق ولا حذلقة، تحوّل قصصه إلى لوحات رائعة الألوان، وصروح شامخة البنيان.

وصاحبنا يختار موضوعاته، وأماكنه بعناية، ويعمل فيها بصره وبصيرته معا، وتتنوع موضوعات القصص، وتتباين الأوعية التي يصب فيها أحداثها التي تدخل إلى صميم النفس الإنسانية دخولا لينا، هينا، لا لبس فيه ولا اصطناع.

ولقد حدد: (**ليو تولستوي**)[1] في مقاله النقدي: (**ما الفن؟**) أسس العمل الفني: (في المضمون الذي يكشف عن جديد في الحياة، والشكل الجيد الجميل، المتفق مع المضمون، والإخلاص، والإيمان لدى خالق العمل الفني)، ولقد توافر ذلك لصاحبنا حيث أصبح من الاطمئنان بمكان أن نقول بملء فمنا: إن لغة صاحبنا الشعرية[2]

---

[1] **ليو تولستوي: (١٨٢٨-١٩١٠م) روائي وفيلسوف روسي، من أكبر كتاب العالم، له: الحرب والسلام، ورواية آنا كارنينا، مسرحية قوة الظلام، الحاج مراد، البعث، و(ما الفن؟)، والقائمة طويلة.**

[2] **إن شرط الشعرية المبتغى لأي عمل فني سواء أكان مسرحية، أم قصيدة، أم قصة، أم رواية، أم لوحة -يتكيء في الأساس على رؤية ما للعالم، بحيث تبدو اللمسات، والرتوش التي يوميء عن طريقها المنجز الفني هي مرتكزات الفن ومرامه.**

الرقيقة، والعواطف النبيلة السامقة جعلت قصص هذه المجموعة التي بين أيدينا تصل إلى قلوبنا في يسر.

شمس إيزيس

في قصة: (**المرسم**) رسام أغلق مرسمه عقب مناقشة حول مضمون الإشراق والأمل في لوحاته، واستطاعت زوجته الترويح عنه، وأخرجته من عزلته بعد وصول خطاب قدمته إليه، وفيه خبر إقامة معرض بمناسبة تكريمه: (وقف طويلا يتأمل اللوحة التي لم يتمها، والتي كان يستلهم موضوعها من أسطورة: (إيزيس، وأوزوريس). وصاحبنا يستلهم من التاريخ القديم والحديث مادته، فـ(إيزيس) من أشهر معبودات الفراعنة، كان وطنها الأصيل في الدلتا، وهي زوجة لأوزوريس، و أم ولده (حورس)، وكانت ربة السماء، تتمخض عن مولودها (الشمس) كل صباح، عبدها الإغريق في الإسكندرية، وأتموا معبدها في جزيرة (فيلة) (أنس الوجود)، وعبدها الرومان، ونقلوا عبادتها إلى أوربا، وهكذا تبدهك النظرة الثاقبة في القصة التي تتوسل بالتاريخ والربط بين زوجين من الفراعنة، وزوجين من العصر الحالي، فيرتفع القص إلى مستوى الأدب الرفيع، والقصة خفيفة الظل، حافلة بالمفارقات الكاشفة، ولها طعم قصصي مختلف، وهي

جديرة بالقراءة الواعية لاستيعاب القص البليغ الأثر، العظيم الخطر، الرصين اللغة، السامق التقنية، الناطق بالإنجاز، المكتوب بإيجاز.

وفي قصة: (**الأستاذ رشاد**) يتعايش الماضي مع الحاضر، ويتداخل الزمان والمكان، فالأستاذ رشاد (يدير الإدارة منذ عشرين عاما دون أن يجرؤ أحد من قدامى الموظفين على مراجعة ما يقول) لكن أحد الموظفين الجدد راح يناقشه في أمور العمل، فراح يحدث نفسه: (ما معنى تخطيئه لما قلته له؟ طبعا لا يعني غير وصفي بقصوري في التفكير)، وتتوالى الأحداث ويدفع صاحبنا بالحيوية إلى الموضوع، وتتداخل الصور، وتتشابك الأزمنة، ويتشابك الخيالي مع الواقعي، ويعكف الأستاذ رشاد على كتابة التقرير السري للموظف الذي يثير غضبه، بعد أن حمل الأوراق إلى منزله، ويقتحم طفله الصغير (إخلاص) خلوته، (فيرمى القلم من النافذة، ويتحول التقرير السري بين أنامله إلى قصاصات صغيرة)، وهنا تبدو القدرة الهائلة على الإحاطة بالحياة، فصاحبنا ها هنا يثبت لنا أن فنه وثيق الصلة بالواقع، والقصة شديدة الواقعية والإنسانية، تنم عن أديب متمرس، دقيق الملاحظة، مشرق العبارة، راسخ القدم، يفيض تصويره حيوية، ويضج بالأسى والدهشة.

ظلمات القنوط

في قصة: (**مقعد في الدرجة الأولى**) يتوق البطل الذي ينتمي إلى الطبقات الشعبية إلى الجلوس فوق مقاعد الدرجة الأولى بعد حصوله على مبلغ من المال (في قضية رد اعتبار رفعها ضد واحد من ركاب الدرجة الأولى أهانه) وبعد أن يشعر بلحظات من السعادة وغادر المحطة (تحسس جيبه، صرخ واستدار راكضا نحو عربة الدرجة الأولى) التي انطلقت تغيب في البعيد، وركبتاه خانتاه وسقط).

والقصة كما ترى مليئة بالرغبة في الكشف والتواصل مع المجتمع والنفس، وتنسجم مع الأنغام الكثيرة والمتباينة التي تصدرها المجموعة. وتأتي قصة (**الضحية**) تحمل في كفيها جمرة الفن المستعرة التي تشع الضوء الممتد من الأرض للسماء، فالبطل عامل من صعيد مصر، يشارك في تشييد المباني، ويطلب (أجر اليوم التالي من صاحب العمارة) فيوبخه، يلح في الطلب لأن (اليوم وقفة العيد الكبير ويريد أن يشتري قليلا من اللحم للأولاد) نظر إلى خروف في يد أحد خدم صاحب العمارة، حصل على نصف يومية، واشترى (كيلو من اللحم) خطفه صبي وانطلق خلفه، وأمسك به، تجمع المارة، صاح الصبي: (إخوتي اليتامى تاقوا

إليها) (ناول البطل نصف ما معه إلى الصبي) جلس على مقعد من مقاعد المقهى ليخطف كلب ورقة اللحم، يطارد الكلب (وقطعة اللحم بين كفيه)، (قفز الكلب درج عمارة قفزات متوالية، والبطل خلفه في خطوات متعثرة، سقط، لحق به الأذى، وتأتي النهاية فالبطل (رمق الكلب بنظرة حادة، وقطعة اللحم تحت أقدامه، فتح الكلب فمه، وتدلى لسانه.. غدا اقترض يومية أخرى من صاحب العمارة، واستدار، وسكان العمارة يتساءلون: ماذا حدث؟). والقصة تثير الانتباه، وتطرد الملل، جعل صاحبنا منها خلقا فنيا يحمل الشكل الجديد، والمضمون الجديد معا دون أن يفقد القص عبقه حين يصور عجز الإنسان عن بلوغ ما يريده، رغم وجود الإرادة، وتواصل السعي، فقد خاب رجاء البطل، وطاش سهمه، ووقف من آماله على شفا جُرف هارٍ، وتكشف له برق مناه عن سحاب خُلَّب.

أحزان وسلوان

وفي قصة :(**أحزان عبد النبي**) يتواصل الشقاء، فالرجل عامل يعمل في جهة حكومية وأولاده اشتاقوا لأكل ثمار المانجو، وقد سمت آماله إلى نيل هذا الأمر، ولاحت له فيه بارقة أمل حين (قال السيد المدير:القفص ده يروح شقة مجاهد بيه) (مشى ورائحة المانجو في القفص تصدم

أنفه) وبعد أن سلم القفص لزوجة البيه عضو مجلس الإدارة، كلفته الزوجة بأعمال شاقة في منزلها، ومنحته عشرة قروش.
فقد طمع في غير مطمع، وقد منته نفسه الأماني، وغرته خُدع الآمال (تحاشى نظرات الأولاد موزعا على كل واحد منهم قطعتين من حلوى رخيصة اشتراها من القروش العشرة) واتهم في اليوم التالي بسرقة صنبور المياه في غيابه، دافع عن نفسه، سامحه المدير، جلس وقد (زادت طاقتا أنفه اتساعا لالتقاط رائحة المانجو ممتزجة بالشجن).
والقصة جديرة بالقراءة ففيها إشارة إلى تعثر جهود الإنسان وعجزه عن بلوغ هدفه، وآلامه النفسية المصاحبة لهذا العجز، والمؤلف يقف وراء القصة يمنحها ألقا يشد الانتباه ويجذب العقل والنفس إلى التأمل في أحزان الرجل الذي رهِقه من الأمر ما عيل به صبره، ونضب معين اصطباره، وقد وضع المؤلف عمله في قالب أدبي رفيع وأفسح من خلاله المجال لتناول العمل من جوانب شتى.
وفي قصة: (**الحب وأصابع الزمن اللاهث**) يسود الحوار القصة وهو بين رجل وفتاة تخبره في نهاية القصة : (ليلة الأمس دق بابي شابان) (كل منهما أفضل من الآخر) وبعد انصرافها (جذب

شعرة من رأسه، فإذا بها بيضاء، أمسك بطرفيها بين أصابعه، وراح يجذب الطرفين) والقصة عامرة بالإشارات، والإيماءات التي تغني الصورة الكلية للقصة، والحوار هنا بليغ سديد المنهج، واضح المعالم، مشرق المعاني، محكم الآداء.

صراع

وفي قصة: (**الليل والكلاب**) يتملك البطل الحزن لرسوب ابنته ويقرر عقابها ويسدل الليل أستاره، ويمر بمنطقة مظلمة تنبح فيها الكلاب، ويشارك في إنقاذ فتاة رسبت، وفرت من منزلها وسقطت في حفرة، ويعود إلى شقته، ويضم ابنته إلى صدره فقد صفح عنها وتناسى ما كان منها، وتلقى رسوبها بحلمه، والكاتب هنا صاحب خيال خصب، فقد برع في عرضه للصراع النفسي، وإيغاله في آلام المكدودين والمهمشين.

وفي قصة: (**رجل المهمات الصعبة**) يستدعي أهالي الحي عامل المجاري، فقد (انفجرت ماسورة المجاري، وصار الشارع مستنقعا كبيرا) تجمع الناس من حوله، وأحاطوه بكلمات التشجيع، وبعد أن فرغ من مهمته (نظر حوله لم يجد أحدا، فقد التف الناس حول أحد الحواة فمضى نحو مسكنه). والقصة مشرقةِ المعاني،

محكمة الآداء، والسرد متراصف الفِقر، متلائم الأطراف، متساوق الأغراض.

وفي قصة: **(الشمس لا تغيب كثيرا)** تمرض أم البطل ويرفض الطبيب زيارتها، فيحملها أهل الحي رغم تساقط المطر، وتغادر عيادة الطبيب الفاتر العزم، الثقيل الهمة، الصغير النفس، ويحملها الجيران على كرسي، ويراها فلاح فيترجل عن حماره، و(أصر على أن تمتطيه الأم مكانه)، ونشر الفلاح مظلة فوق رأسها ليحميها من سقوط المطر، وتتجسد مروءة الجيران أمام البطل، و(الشمس تلقي سناها فوق رأسه، وتغمر الطريق والجدران). وبطل القصة هنا بطل إشكالي، فهو الشخصية الرئيسة، يثير التساؤلات، ويطرح القضايا التي ترتبط بقيم المجتمع، وتبرز وجوه التناقض القائم بين الشخصية والعالم[1].

واسطة العقد

وفي قصة: **(بطيخ العم بيومي)** يلح طفل على والديه برغبته في أكل البطيخ، ولضيق ذات اليد يتهرب الأبوان ثم يغامر الوالد بالذهاب إلى السوق فينهره التجار، و(أحد الفتوات يدفعه بكفيه

---

[1] **أنفال أمين مرسي: الأديب محمد خليل، وشمسه التي لا تغيب كثيرا، أوراق ثقافية، إقليم شرق الدلتا الثقافي، ع (٢٥) أبريل ٢٠١١م، ص ٥٦.**

بعيدا) و(اللعنات تلاحقه من الصبية والحمالين، وتبارت الأيدي في تأديبه) تورم فكه، وتهشمت نظارته، عاد إلى البيت ومعه بطيخة، هلل ابنه الصغير، وراح يدحرج البطيخة في حجرات الشقة. وقد برع المؤلف في رسم الحدث، وتنوع الشخصيات، والابتعاد عن المعاني المضطربة، والتراكيب القلقة.

وفي قصة: (**الجفاف**): صياد معاق يتحدى الإعاقة وينزل إلى قاع البحر في موسم الجفاف للصيد، يحمل ابنه الصيد الوفير فتدهسه سيارة، (فيجلس الرجل على الطريق كتمثال نصفي بلا قاعدة). والمؤلف هنا يتجول في أرض إبداعه الزاخرة، والقصة لوحة جدارية رسمتها ريشة المؤلف في براعة، وهي واسطة العقد الفريد الذي قدمه لنا صاحب العمل في مجموعته.

وفي قصة: (**الرقص حول جثة رجل حي**) يحاول شيخ البلد شراء فدان بالجبر من فلاح فقير ويحرق محصوله فلا يلين ويواجه الرجل بجرأة قائلا في ختام القصة: (على الله العوض، العوض على الله، لن أترك الفدان يا شيخ البلد). وتتجلى في هذه القصة قدرة المؤلف على استدراج المتلقي وجذبه إلى حيث يريد له المؤلف أن يكون، والسرد رقيق عذب مأنوس.

وفي قصة: (**بنات البندر**) تحذر الأم ابنها القروي من بنات البندر، وتحاول فتاة لعوب الإيقاع به فيهرب و(ينخرط في بكاء حار).

والمؤلف في هذه القصة يحقق مقولة الرومان : (الفن هو إخفاء الفن) وهو مطبوع على جزالة الألفاظ، وفخامة الأساليب، وله اليد الطولى والقِدح المعلّى في صناعة الأدب.

ونظرة **الأديب محمد خليل**، ورؤيته في قصصه، لا تقتصر على الواقع، بل تتسع نظرته، فيلمح وراء الواقع أبعادًا أخرى، تكشف عن الخفي والمستور، كما تكشف عن عدم قبوله للواقع الذي تحاصره المثبطات والسلبيات من كل صوب وحدب[1]. ومن الجدير بالذكر أن الشمس تتكرر كثيرا في قصص المجموعة وذلك في الصفحات (٨٤-٩١-٩٥-١٠٤-١٠٩-١١٠-١١٣-١٣٥).

والسرد هنا يملك القلوب ويسترق الأفهام، واللغة تستعبد الأسماع فهي عنوان البيان، وآية البراعة.

تحسين اللفظ

وفي قصة: (**ليلة في السماء**) يرتكب البطل الكبائر ويشير إلى بغى بمغادرة المكان ويطالع في الكتاب المفتوح بجوار الأباجورة السطر

---

[1] **أمين مرسي: الفنان محمد خليل بين شخصياته الإنسانية، وتراكيبه الأسلوبية، نفس المرجع السابق، ص٥٠.**

الثاني من أول سورة **النور**[1]. ألقى بجسده في البانيو، شعر بعدم طهارته رغم الاغتسال وفي أحضان بغى يقول **البطل**: (انتفض الوحش الرابض أسفل أمعائي) وذلك من باب تحسين اللفظ Euphemism وفي اللغة العربية يكنى عن عضو الرجل بالعصا، والمفتاح، والناي، والموز، والقثاء، والسكين[2].

يستخدم المؤلف تقنية: (**التناص**)، والتناص Intertextuality يعني تفاعل النصوص، وتداخلها الذي يكشف النقاب عن وهم البنية المكتفية بنفسها. ومن ذلك **التناص القرآني** من سورة **الزلزلة** ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ يقول المؤلف (زلزلت الأرض زلزالها قذفت ما تحتها)، والتناص مع **يونس** ٢٤ ﴿فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا﴾ ، يقول **المؤلف**: حصيدا حضاراتها

---

[1] **﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ النور، الآية٢.**

[2] **الثعالبي: أبو منصور، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل: الكناية و التعريض، ط محمد أمين الخانجي١٩٠٨م، وتحسين القبيح وتقبيح الحسن، ط بغداد ١٩٨١م، وانظر: الجرجاني، أبو العباس أحمد بن محمد: المنتخب من كنايات الأدباء وإشارات البلغاء، ط الخانجي ١٩٠٨م، وانظر: كريم زكي حسام الدين (الدكتور): المحظورات اللغوية، دراسة دلالية للمستهجن والمحسن من الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، ط١، ١٩٨٥م، ص١٠٨، والتعبيرات المحسنة موجودة في كل اللغات.**

تحولت ص١٣٣. **وعبس** ٣٤ و٣٥ ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ﴾، **والحجر** (٤٦) ﴿ ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ آمِنِينَ﴾، **والزمر** ٧٢ ﴿ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّم خَالِدِينَ فِيهَا﴾، **والفرقان** ١٢ ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ **والنبأ** ٣١ و٣٢ ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا﴾، **والحجر** ٤٤ ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾ يقول **المؤلف**: (واجهتنا أبواب سبعة، من أي باب أدخل؟)، **والحجر** ٣٦: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾، **وق** ٣٠ ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ ويقول المؤلف: وانطلق نحو الباب سؤال: هل امتلأت؟، وأسرعت الألسن بالجواب: (هل من مزيد؟). وهكذا يؤلف **صاحب العمل** بين دال ومدلول في علاقة تنتج دلالة، فهو بصير بمذاهب الكلام، عليم بمواضيع النقد، عارف بمطارح الإساءة والإحسان، متضلع من فنون الأدب، متقن لعلوم اللسان. و (**الشمس لا تغيب كثيرا**) عن إبداعه الذي تدرك فوائده على غير مؤونة، ولا كد ذهن، ولا جَهْد فكر، ولا إعنات رويّة، ولا إرهاق خاطر.

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.
٢- أمين مرسي: جذوة الروح، مركز ابن سينا للنشر والإعلام، ط١ ٢٠٠١م.
٣- أمين مرسي: الفنان محمد خليل بين شخصياته الإنسانية، وتراكيبه الأسلوبية، أوراق ثقافية، إقليم شرق الدلتا الثقافي، ع (٢٥) أبريل ٢٠١١م.
٤- أمين مرسي: القصص في التراث والملامح المميزة للفلكلور، صحيفة الرأي العام الكويتية، ع٩١٨١، ١٩٨٩/٧/٢م.
٥- أنفال أمين مرسي: الأديب محمد خليل، وشمسه التي لا تغيب كثيرا، أوراق ثقافية، إقليم شرق الدلتا الثقافي، ع (٢٥) أبريل ٢٠١١م.
٦- الثعالبي: وتحسين القبيح وتقبيح الحسن، ط بغداد ١٩٨١م.
٧- الثعالبي: الكناية و التعريض، ط محمد أمين الخانجي١٩٠٨م.
٨- الجرجاني: : المنتخب من كنايات الأدباء وإشارات البلغاء، ط الخانجي ١٩٠٨م.
٩- كريم زكي (الدكتور): المحظورات اللغوية، دراسة دلالية للمستهجن والمحسن من الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، ط١، ١٩٨٥م
١٠- محمد خليل: الشمس لا تغيب كثيرا، ط٢، اتحاد كتاب مصر، ١٩٩٧م.

رتبت المصادر والمراجع ترتيبا ألف بائيا بحسب أسماء المؤلفين مع تقديم القرآن الكريم وحذف (أل).